يومياً في رمضان
بعد صلاة العصر
النهج الواضح
تفسير سورة
البقرة
كاملة إن شاء الله
لفضيلة الشيخ
أبي محمد خالد بن عبد الرحمن
حفظه الله
في مسجد شيخان الفارسي
الكويت - منطقة العديلية قطعة 1
ابتداءا من 1/ رمضان / 1435هـ
الساعة 4:00 بتوقيت مكة (تقريبا)
ملاحظات :
1- الدرس منقول عبر إذاعة النهج الواضح
Www.annahj.com
2- تقام الصلاة بعد 20 دقيقة من الأذان .
3- للإستفسار : 99480868

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نستأنف في هذا اليوم الثالث من رمضان لسنة 1435هـ من الهجرة النبوية، الموافق الأول من شهرِ يوليو لسنة 2014 إفرنجي، نستأنفُ هذهِ الحلقات الرمضانية، في تفسير سورة البقرة، مع الشيخ الفاضل خالد بن عبد الرحمن –حفظه الله تعالى وسدّده ووفقه– لكل خير، فليتفضل مشكورا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴿٨﴾يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾[البقرة:٨-٢٠].

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلمَ على نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فجزا الله شيخنا على قراءتهِ التي استفدنا منها، وأسأل الله أن يسددنا وإياه.

وصلنا في هذه الدروس إلى قوله –تبارك وتعالى–: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾، فالله –سبحانه وتعالى– ذكر الفريقين المتقدمَيْن،

فذكر المؤمنين ثم ثنى بعد ذكر المؤمنين ثنى –سبحانه وتعالى– بذكر الكافرين ثم ذكر بعد ذلك الصنف الثالث وهم المنافقون.

فالصنف الأول: هم المؤمنون ظاهراً وباطناً.

والصنف الثاني: هم الكافرون ظاهراً وباطناً.

والصنف الثالث: هم المنافقون المدعون للإسلام ظاهرا، والمبطنون الكفر باطناً

فهذهِ هي القسمة أن يكون الرجل مؤمناً ظاهراً وباطنا أو كافراً ظاهراً وباطنا أو مدعيا للإسلام ظاهرا وهو كافر باطنا.

يقول الله –جل وعلا–: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ هذا الصنف اتفق كلام المفسرين فيما ثبت في تفسيراتهم عن قتادة عند الصنعاني في تفسيره وعن مجاهد عند الطبري في تفسيره، وغيرهما من السلف الصالح كعبد الرحمن ابن زيد ابن أسلم عند الطبري بإسنادِ صحيح اتفق كلام أئمة التفسير على أن هذه

الآيات ابتداءً من قوله –سبحانه وتعالى–: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾

إلى ثلاثة عشرةَ آية بعدها بما فيها هذه الآية أنها في المنافقين، والنفاقُ لم يظهر إلا في المدينة لم يظهر في مكة، في مكة كان الكفر وهو وجودُ المشركين مظهرين لكفرهم وشركهم.

فلما استقر النبي –صلى الله عليه وسلم– في المدينة وقويت شوكةُ المسلمين وصار لهم شوكةٌ ودولةٌ ظاهره وقوة، حينئذ ظهر النفاق فالنفاق أصل ابتدائهِ في الظهور إنما هو في المدينة حين ظهرت شوكة الإسلام وقوته، فظهر النفاق لعلةِ الخوف كما سيأتي بيانه.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ لماذا خصوا اليوم الآخر؟

لأن الكفار كانوا ينكرون اليوم الآخر وقالوا: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية:24] فينكرون اليوم الآخر وهؤلاء المنافقون أرادوا أن يظهروا خلاف دعوى المشركين بعدم الإيمان باليوم الآخر.

وهنا لم سميت القيامة باليوم الآخر؟ آخرُ ماذا؟

قال جماعة من أهل العلم: سُميَّ يوم القيامة باليوم الآخر لأنه آخرُ يومٍ يكونُ قبل دخول المؤمنين الجنة، ودخول الكافرين النار.

فهو يومٌ آخرٌ لا قضاء بعده ولا جنة ولا نار تُنشأ بعد ذلك، وإنما هو آخر يومٍ للقضاء، فيدخل المؤمنون الجنة ويدخل الكافرون النار فسمي باليوم الآخر.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾

أي أنهم كذبة منافقون.

إذاً لماذا أظهروا الإسلام؟ قال الله –جل وعلا–: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [البقرة:9]

إذًا الحامل لهم على أن يظهروا الإسلام المخادعة، ما وجه المخادعة وما الذي سيستفيدونه من المخادعة؟

هذا بينه الله –جل وعلا– في كتابه: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (1) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ [المنافقون: 2-1]

إذًا هم لماذا أظهروا النفاق؟ فبين الله –جل وعلا– العلة الحاملة لهم على إظهار النفاق، أنهم اتخذوا أيمانهم جنة، ماهي الجنّة ؟

الجنّة ما يحملهُ المقاتل من الترس، يتقي بهِ ضرب العدو من سهامٍ ومن سيفٍ ومن رمح، فيتقي بجنته الحديد الذي يحملهُ يتقي شر عدوه، فالمنافقون ما الذي حملهم على النفاق؟ ولماذا لم يظهروا الكفر كما كان المشركون في مكة يظهرونه؟

لأنهم إن أظهروا الكفر في قوة المسلمين فإن حدود الشهر ستقام عليهم وهو الجهاد في سبيل الله فمن أظهر الكفر وجب قتاله.

حينئذ كيف يتقون القتل وكيف يتقون ما سيقع عليهم من شرع الله –جل وعلا– من الجهاد وإقامة الحدود عليهم؟

اتخذوا أيمانهم جنة، فهم أظهروا الإيمان ليجعلوا الإيمان جنة تقيهم من القتل لو أنهم أظهروا الكفر، وهذا يدلك على أن النفاق إنما ظهر حال الضعفِ والخوف.

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية، وأما في مكة فلم يكن هناك منافقون أصلاً، إذًا فقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ [المنافقون: 2-1]

فيه البيان على السبب الذي اظهر المنافقون نفاقهم من أجله ومن هنا ظنوا أنهم قادرون على المخادعة﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [البقرة:9]

هكذا يظنون ولكن الحقيقة ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة:9]

أي أن خداعهم إنما هو خداعٌ لأنفسهم فإن الله –جل وعلا– لا تخفى عليه خافية قال:

﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة:9]

لا يشعرون بذلك بل أضلهم الله –عز وجل– حتى فقدوا الشعور بأنهم لا يقدرون على المخادعة فيحسبون أنهم قد أفلحوا في المخادعة.

وهنا مسائل من مسائل الاعتقاد:

أولاً: أن قولهم لم ينفعهم لأنهم لم يعتقدوا الإيمان بقلوبهم.

لذلك لا يكون الرجل مسلمًا إلا بأصلين:

الاعتقاد الباطن.

واللفظ الظاهر.

فإذا فقد الاعتقاد الباطن وأظهر اللفظ كان منافقًا، وإذا جمع بين الاثنين أي أتى بالاعتقاد والقول كان مسلمًا، وإذا فقد الأمرين كان كافرًا.

لذلك اتفق العلماء على أن الرجل إذا امتنع من قول الشهادة وليس له عذر بأنه يكون كافرًا ما لم يمنعه مانع من قول الشهادة، واتفقوا أيضًا على أنه إن أظهر الإسلام بالقول ولم يعتقدهُ باطِنًا، فإنه يكون مُنافِقًا.

إذًا على أنه أن أظهر الإسلام بالقول ولم يعتقدهُ باطِنًا، فإنه يكون منافقًا، إذًا الإسلامُ لا يكونُ إلا بِرُكنيهِ: الاعتقادُ، والقولُ.

فإن أتى بالاعتقادِ وهو القولِ مع القول بِالشهادَة كان مسلمًا، وإن أتى بالاعتقاد مع القول والعمل الظاهر كان مؤمنًا.

وقد تقدم معنا ما صح عن الزُهرّي عند الطبري بإسنادٍ جيد وغيره، أن الزُهري قال: الإيمان العمل. فالإيمان له ثلاثة أركان:

الاعتقادُ والقولُ والعمل الظاهر.

فمن جمعها كان مؤمنًا، والإسلام يثبت بالاعتقاد والقول، فإذا جاءنا الآن رجلٌ كافر فقال أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وآمنت، صار مسلمًا، ولكن لم يصير

مؤمنًا حتى يظم العمل﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:14].

قال الله– جل وعلا–: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة:10].

تكلمنا أمس هذا القلب الذي هو مضغه تضخ الدم، هذا القلب فيه من المعاني ما دل عليه الشرع مما غاب عنا، فهذا القلب هو المضغة التي في صدر الإنسان وأكد الله المعنى فإنها لا ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[الجاثية:46]

فالقلب هذا جعل الله فيه الإيمان وجعل الله فيه الكفر، وجعل الله فيه الهدى، وجعل الله فيه الضلالة وجعل الله فيه التقوى، ولذالك كما قال– صل الله عليه وسلم–كما جاء في الصحيح حين((: التقوى ها هنا و أشار إلى صدره))

كيف ذالك نكل علم ذالك إلى الله ولذالك جاء الحديث في صحيح مسلم: ((تعرض الفتن على القلوب عودًا عودًا كأعواد الحصير فأيما قلبٍ انكرها نكت في قلبه نكتةٌ بيضاء، وأيما قلبٍ أشربها نكة في قلبه نكتة سودا حتى تصير القلوب على قلبين على أبيض كالصفاء لا تظره فته ما دامت السماوات والأرض، وعلى أسود مربادا كالكوز المجخيه لا يعرف معروف ولا ينكر منكرًا إلا ما وافق منها))، الظلمى ينكت فيه النور كل ذالك نسلم به على قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [البقرة:3].

ونكلُ كيفية ما غاب عنا إلى الله، ونؤمن بخبر الله ورسوله مصدقين جازمين وما غاب عنا من إدراك الكيفية نكل علمه إلى الله.

قال –سبحانه وتعالى –: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ [البقرة:11]

وهذا كما يقول فرعون ﴿مَا أُرِيكُمْ **إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾[غافر:29] فمن الضلال العظيم أن يضل الإنسان ويحسب انه مهتدٍ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 37]

فهذا جهلٌ مركب جاهلٌ ويدعي لنفسهِ، العلم ضالٌ، ويدعي أنه محق وهذا الذي بينه الله –عز وجل–: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قال الله– جل وعلا–: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[البقرة:12]

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٣] آمنوا فإن إيمانكم ليس بِبدع، ولم تأتوا بشيءٍ مُستغرب، بل إن الأصل في الناس أنهم صاروا مُؤمنين، لِظُهور الحُجَج والبيّنات، فَما أَتيتُم بِشيءٍ جَديد، وإنما ﴿ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ﴾ حين ظَهرت لهم البَيّنات والحُجج الظاهرة، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾[البقرة: ١٣]، أَرادوا بِالسُّفَهاء كَما جاء عن مُجاهدٍ وغيره من السَّلف، أَرادوا أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– وَصَفوهُم بالسَّفَه ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾[البقرة: ١٣] وما هو السَّفيه؟

قال الله –جل وعلا–: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾[﴿النساء: ٥]، السَّفيه مَن لا يُحسن تَدبير الأمور، لذلك نَهى الله –جل وعلا– عن إِتيان السُّفَهاء أَمْوالنا، لأنَّك إِذا

أَعطَيت المال للسَّفيه أَفْسَد، فَهو لا يُحسن التَّصرف، فالسَّفيهُ كَما بيّن رَبنا –جل وعلا– في غيرما آية ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾﴿النساء: ٥]، إلى غَير ذلك هُو الذي لا يُحسن تَدبيرَ الأُمور.

وقد يكون سَفيهًا في أمر الدُّنيا، وليس في أَمر الدّين، أي قد يَكون رَجُلًا صالحًا، ولكنَّه لا يُحسن تَدبير الأُمور في الحياة، فَهو سَفيهٌ في أمر الدُّنيا، وإن لم يَكُن سَفيهًا في أَمر الدّين، وأَعظمُ السَّفه السّفهُ في الدّين، أن يَكون سَفيهًا في أَمر دينه، فإن السَّفهَ في أمر الدُّنيا يُضيّعُ عليك حَظَّك من الدُّنيا ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾[﴿النساء: ٥]، فالسَّفيه يُضيّع حَظه، ويُضيّعُ ماله، ولكنَّ سَفيه الدّين يُضيّع دينه، ولِذلك قال الله –جل وعلا– رادًا عَليهم ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣].

وتَنبّه إلى أَمرين:-

الأول: لما ذَكرَ الإفساد خَتمه بعدم الشُّعور ﴿وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢]، ولما ذكَر الإيمان خَتمه بعدم العِلم، وإذا تأمّلتَ في سِياق القرآن تَبيّن لَك يَقينًا عِظَمُ كَلام الرَّب – جل وعلا– حين تَكلَّم عَن الإفساد خَتمه بعدم الشُّعور ﴿وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢]، حينَ تَكلَّم عَن الإيمان خَتمه بِعدم العِلم، قال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣] لماذا؟

لأن الإيمان لا يَكون إلا بِعلم، فلا يُمكن أن يَتحقق الإيمان بِجهل، فالإيمان قائِم على العِلم، ولذلك انظر كَيف قَرن اللهُ بين الإيمان والعلم، فَجمع الله –عز وجل– بَينهُما

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾ [الشورى: 52] وهو العِلم ﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾.

إذًا لا يُمكن لِلإنسان أن يَكون مُؤمنًا وهو لا يَعلم حَقائِق ما أُمر به من الإيمان، فَالإيمانُ مُستلزِمٌ للعلم، فعدم الإيمان مُستلزِمٌ للجَهل، فلذا خُتمت الآية وناسبَ خَتْمُها والله أعلم بمُراد كلامه حين تَكلَّمَ عن الإيمان فَختمها بِجهلهم فقال:﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣]هذا الأمر الأول.

الأمرُ الثاني: أن الله –جل وعلا– وصفهم بما يستحقون بأنهم سفهاء وفي موضع آخر ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ ﴾ [الجمعة:5] فوصفهم بالحمير بجامع الجهل وأتي في آية آخر ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ [الأعراف:176].

هذا مثل الكافرين فإذا تأملت وجدت أن الله –جل وعلا– يجرح الكافرين ويصفهم بأعمالهم وبقبيح صنيعهم، لماذا؟ ليبين حالهم ويحذر الناس من أن يقعوا في ما وقعوا فيه من الضلال وهذا التجريح ليس قاصرًا على الكفار بل هذا يتعدى للمسلمين العصاة فإن الله حين ذكر شهادة الشهود في غير بينة والقذفة ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[النور:4].

إذًا باب الجرح للمستحق كان كافرا أو كان مسلمًا هو من مقاصد الشريعة ومن دلائل الدين حتى يحذر الناس أفعال الكفار وأفعال العصاة ومن هنا تجد في السنة كما جاء في كتاب الله – جل وعلا– من تجرح المستحق للجرح لينفر الناس عن فعله وليتبصر أن الذي

يفعله مما يغضب ربه ومن ذلك ما جاء عن النبي –صلى الله عليه في الصحيحين: ((لعن الله اليهود والنصارى أتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)). ومن ذلك ما جاء عن النبي –صلى الله عليه وسلم– حين قال كما في صحيح مسلم: ((إن آل بني فلان ليسوا لي بأولياء إنما أوليائي المتقون)).

وكما جاء في صحيح البخاري لما جاء الرجل يستأذن فقال –صلى الله عليه وسلم–: ((بأس أخو العشيرة)). وعند الترمذي: ((لما جاء الرجل يستفتي وقد أصيب بشجه في رأسه فستفتى جماعة من الصحابة هل تجدون لي من رخصة قالوا لا إلا أن تغتسل فاغتسل فمات فقال –صلى الله عليه وسلم– قتلوه قتلهم الله)).

يدعوا على من؟ يدعوا على جماعة من الصحابة حين فعلوا ما لا ينبغي، وأفتوا بغير علم فتسببوا في قتل الرجل، فدعا عليهم فقال: ((قتلوه قتلهم الله)).

ومن هنا أهل السنة لما جاؤوا في الحديث فتحوا باب الجرح للرواة فلانٌ كذاب، فلانٌ ثقة صيانة لحديث رسول الله–صلى الله عليه وسلم–.

ولما ظهر الخوراج وأهل البدع حذروا منهم وبينوا شؤم فعالهم وحذروا المسلمين من مسالكهم.

فباب الجرح والتعديل باب عظيم لا ينفر من هذا الباب إلا جاهل وسفيه فإن دين الله – جل وعلا– قائم على جرح وتعديل لأهل الحق فيمدحون ولأهل الباطل فيذمون سواءً كان المبطل مسلمًا عاصيًا أو مبتدعًا أو كان مسلمًا أتى بشيء –والعياذ بالله– من الكفر فصار

كافرًا فقوله تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾

أصل الشيطان مشتق من شطأ أي خرج، ومنه الشاطئ وهو ما خرج عن أصل البحر فيسمى شاطئ، والشاطئ هو طرف الشيء ﴿ نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ﴾[القصص :30].

فالمقصود بأن الشيطان هو كل خارج عن طاعة الله، فتستعمل كلمة الشيطان في الجن والإنس إذا كانوا خارجين عن طاعة الله، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[الأنعام:112].

فسمى الذين عصوا الله بالكفر من الإنس والجن سماهم شياطين، شياطين الإنس والجن، فالشيطان يطلق على كل عاص لله –عز وجل– سواء كان مسلما أو كان كافرا، والعلة في إطلاق اللفظ الخروج عن طاعة الله–جل وعلا– ؛ ولذاك النبي–صلى الله عليه وسلم– يقول: ((إذا صلى أحدكم فأراد أحد أن يمر بين يديه فليدفعه، فإن أبى فليقاتله فإنه شيطان)).

إذا كنت تصلى وجاء أحد يمر بين صلاتك وبين موضع سجودك فلا تسمح له فادفعه، لماذا قال: فان أبى فليقاتله؟ فان أبى فليشتد في الدفع أكثر، لماذا؟

قال: فانه شيطان ؛لأنه لا يجوز لك أن تمر بين يدي المصلي بل هذا من الكبائر أن تمر بين يدي المصلي، بينه وبين موضع سجوده، ولذلك قال: ((لو يعلم المار بين يدي المصلي ما عليه من الإثم، لكان أن يقف أربعين خير له من أن يمر بين يديه))، فسمى

الذي يمر بينك وبين موضع سجودك سماه شيطانا. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾

صح عن مجاهد عند الطبري وغيره وعن قتاده: أن شياطينهم هنا رؤسائهم وزعمائهم وكبرائهم في النفاق، فهؤلاء الشياطين هم دعاة النفاق ودعاة الضلالة، قال الله– عز وجل–: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[الجاثية:24] أي أن الذي أظهروه من الإيمان من باب المخادعة إنما يفعلون ذلك استهزاءًا، قال الله– جل علا–: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾

ما هو الاستهزاء؟ الاستهزاء هو الاستخفاف والسخرية من المستهزأ به، فان قال قائل: فكيف يوصف الله بإستهزاء ؟ هذا من الصفات التي لا تُطلق الا مقترنة مع سببها، مثاله:– من حيث لغة العرب– فانك تستنكر المكر، فإذا قلنا: فانٌ ماكر، فإنها صفة سوء، لكن اذا قلت: أراد فلانٌ أن يمكر بي فمكرت به، كنت ممدوحاً في رد المكر بمثله، اذا هناك من الصفات ما هو مذموم بالاطلاق

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ﴾ [النحل: ١٢٦].فإذا قيل أن الإنسان عاقب فلانًا بكذا وكذا كان مذموما، لكن إن قيل عاقبته مقابل عقابه لي كان ممدوحا.

والحاصل أن هذه الصفات كما يقول الإمام ابن القيم وغيره من علماؤنا: الله يستهزئ بهم هي على حقيقتها ولكن مقيدةٌ بمستحقها فتقول: الله يستهزئ بمن يستهزئ به، فتصيرُ هذهِ الصفة مثبتة على وجه المقابلة، لا أنك تطلقُ صفةٍ لله بإطلاق دون سبب تقول الله

يستهزئ هذا غلط لكن تقول: الله يستهزئُ بمن يستهزئ به ويمكرون ويمكر الله، الله يمكر بمن يمكر به.

هذا هو المقرر عند أهل السنة والحاصل أن ما ثبت من الأسماء والصفات لله–جل وعلا– يثبت على الوجه الذي أثبته الشرع، فإذا كان قد أثبت على وجه الإطلاق كالرحمن والرحيم والعزيز، أثبت على وجه الإطلاق، وإذا كان أثبت في سببٍ ومقابلة وجبَ أن يقيد إطلاق الصفة بذلكَ السببُ والتقييد.

فالله يستهزئ بهم حقيقة وقد بيّن شيئًا من استهزائه بالمنافقين حين يقول: ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللهب ﴾ [المرسلات: 30-31].

هذا بابُ من أبواب الاستهزاء بهم، ومن الاستهزاء بهم ﴿ ذُقْ ﴾ –وهو في النار – ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان:49] وهذا من استهزائه –سبحانه وتعالى– بهم إلى غير ذلِك ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ ﴾ [الحديد: ١٣] إلى ما جاء بعد ذلك من الآيات في وصف حال المنافقين مع ذكر أهل الأعراف.

إذا فهذا هو معنى الاستهزاء الذي أثبته الله – جل وعلا– لنفسه وأثبته أهل السنة على الوجه الذي يليق بالله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:11]. لا يجوز أن تشتق من فعل الاستهزاء فتقول : الله المستهزئ، هذا لا يجوز ولم يرد في الكتاب والسنة إطلاق هذا الاسم على الله وإنما نطلق الفعل مع سببهِ ومع مقابلته كما أطلقه الله –جل وعلا–.

﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة:15] العمه هو العمى، قال الله – جل وعلا –: قال الله –جل وعلا–: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾[البقرة: ١٦].

التجارة مع الله من أعظم التجارة ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١].

فهذه تجارة مع الله ولذلك سمى الله الإيمان تجارة فقال واصفًا المؤمنين ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر: ٢٩] وما وجه أن تطلق على الطاعة لفظ التجارة بينه الله –عز وجل– ما هي التجارة؟ أن تبيع وتشتري.

فالإيمان تجارةٌ مَعَ الله، ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرى مِنَ المؤْمِنينَ أَنْفُسَهُم وَأَمْوالَهُم ﴾ [التوبة:111] فَبِعْتَ نَفْسَكَ للهِ – جَلَّ وَعَلا –، مُقابِلَ ماذا؟ مُقابِلَ رِضاءِ اللهِ وَجَنَّتِه، ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرى مِنَ المؤْمِنينَ أَنْفُسَهُم وَأَمْوالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّة ﴾[التوبة:111] فَهذِهِ هِيَ حَقيقَةُ التجارَة، وَأَعْظَمُها، وأَجَلُّها، وأَجْمَلُها، ولِذلِك النبي – صلى اللهُ عليهِ وسلم – يقول: ((مَنْ خافَ أَدْلَجَ، وَمَن أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غالِية، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجَنَّة)).

فَهِيَ تِجارة كما وَصَفَ الله فقال: ﴿يَرْجونَ تِجارَةً لَنْ تَبور﴾ [فاطر:29].

فَأَيُّ تِجارَةٍ تَقْبَلُ الرِّبْحَ والخَسارة إِلاّ ما كانَ مَعَ الله فَإِنَّها تِجارَةٌ لا يَقَعُ فيها نَقْصٌ، ولا يَقَعُ فيها كَساد، ولا تَبور؛ لِأَنَّكَ تُتاجِرُ مَعَ رَبِّ العالَمين – سُبْحانَهُ وتَعالى –.

مداخَلة يا شيخ – جزاك الله خير –: عِدَّة أَسئلة:

السؤال الأوَّل:

قولُهُ تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقولُ آمَنّا بِاللّهِ وباليَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة:8]، بينَما نَجِد في آيات أُخَر يَقولُ الله – عَزَّ وَجَل – : ﴿لَيْسَ البِرَّ بِأَن تُوَلّوا وُجوهَكُم قِبَلَ المشْرِقِ والمغْرِب ولكِنَّ البِرَّ مَن آمَنَ بِاللّهِ واليَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة:177] فما هُوَ سَبَب إعادَة حَرْف الجَرّ في هذه الآية؟

الجواب:

هذا أَوَّلًا: مَبْنِيٌّ على قاعِدَة ذَكَرْتُها بالأمس وَهِيَ أنَّ زِيادَةَ المبْنى تَسْتَلْزِمُ زِيادَةَ المعْنى، أَي: إذا جاءَ حَرْفٌ في الكَلام، أَو كَلِمَة في الكَلامِ زيدَت في سِياق ولَمْ تُزَدْ في سِياقٍ آخَر فَلا شَكَّ أَنَّ زيادَتَها مُسْتَلْزِمٌ لِمَعنى زائد، فَلا يُمْكِن أَن يُتَصَوَّرَ في كِتابِ الله أن تَكونَ كَلِمَة ليسَ فيها زِيادَة مَعْنى لَو نُزِعَت، بينَما في كَلامِ البَشَر مُمْكِن يَقول الرجل كَلِمَة، كَلِمَتين، عَشرة، لَوْ نَزَعْتَ نِصْفَها لَما نَقَصَ الكَلام، أَو لَما أَفادَ شيئًا زائِدًا.

أَمّا في كِتابِ الله فَإِذا جاءَ حَرْفٌ في مَوْضِع فَإِنَّكَ لَوْ نَزَعْتَهُ لاخْتَلَّ المعْنى، أَو قَلَّت بَلاغَتُه، وَمِن هُنا يَقولون: بِأَنَّ زِيادَةَ المبْنى في الكَلام زِيادَةَ المعْنى، بِأَنَّها مُسْتَلْزِمَة لِزِيادَةِ المعْنى، والجَواب فيما يَظْهَر وَقَد أَجابَ بِهذا بَعْضُ العُلَماء: أَنَّهُ أَعادَ حَرْفَ الجَرّ في لَفْظ الجَلالَة، وفي اليوم الآخِر، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقولُ آمَنّا بِاللّهِ﴾ فَهُنا حَرْف الجَرّ واسم الجَلالَة مَجْرورٌ بالباء، ثُمَّ أُعيدَ حَرْفُ الباء ﴿وباليَوْمِ الآخِرِ﴾ وهذا كَأَنَّها قَضِيَّة غَيْرَ مَعْطوفَة على ما قَبْلَها، يُقَرِّرون نَحْنُ مُؤمِنون بالله ليسَ فقط بل يُؤَكِّدونَ وَيُقَرِّرونَ وَيُثَبِّتونَ دَعْواهُم الكاذِبَة بالإيمانِ

باليومِ الآخِر، كَقَوْلِكَ حينَ تَرى رَجُلًا كَذّابًا: يا فُلان قُلْتَ كَذا؟ يَقول: لا واللهِ، أُقْسِمُ بِاللهِ، واللهِ العَظيم، وَهُوَ كاذِب وإِنَّما ثَبَّتَ كَلامَهُ بالتّأْكيد؛ لِيُثَبِّتَ دَعْواهُ الكَذِب، فَحَتّى يُقْنِعَكَ، وَحَتّى يَجْعَلَكَ تَطْمَئِن يُثَبِّتُ كَلامَهُ بالتّأْكيدِ والتَّثْبيت، فَهؤلاءِ المنافِقون قالوا هذا ﴿آمَنّا بِاللّهِ وباليَوْمِ الآخِرِ﴾ مُتَثَبِّتين، مُتَأَكِّدين، موهِمينَ السّامِع بِذلِك، فَإِنَّما كُرِّرَ ذلِكَ للتّأْكيد والتَّثْبيت في تَثْبيتِ دَعْواهُم الكاذِبة.

وَأَمّا في الآيَة الأُخْرى ﴿ولكِنَّ البِرَّ مَن آمَنَ بِاللّهِ واليَوْمِ الآخِرِ﴾ فَهُناكَ عَطَفَ؛ لِأَنَّهُ – سُبْحانَهُ وتعالى – قَدْ أَثْبَتَ بِأَنَّ الإيمان مُسْتَلْزِمٌ لِكُلِّ هذه الأُمور؛ فَما يُحْتاج أن يُعاد فيها حَرْفُ الباء وَإِنَّما عُطِفَ بأركانِ الإيمانِ على أَصْلِه. الله أعلم بمُرادِ كلامه.

السؤال الثاني:

–جزاك الله خيرا، أحسن الله إليك الأية التي بعدها؛ قوله–تعالى–﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾[البقرة:9] قال أبو البقاء العُكْبُري الحنبلي إمامُ اللغة رحمه الله–تعالى–: في الكلامِ حذفٌ تقديرهُ (يُخادعون نبي الله)؛ فما صحة هذا الكلام؟ جزاك الله خيرا.

الجواب:

–هذا وإن قال به بعضُ أهل العلم؛ إلاّ أنّ جماعة من العُلماء استنكروا هذا، وإيضاحُ هذا على تأويل الإمام العُكْبري– رحمه الله– فإنّهُ يقول: الله لا يُخادَع، وإنّما المراد﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ أي يُخادعون نبي الله، والذي جعله يحمِلُ على هذا المعنى الكلام؛ الله لا يُخادَع، لكن النبيّ–صلى الله عليه وسلم– بشر؛ قد يمشي عليه الخِداع.

والتحقيق أن هذا مما هو مُخالفٌ لِظاهرِ كتابِ الله، والقاعدةُ عند العلماء: أنّ الأصل أن لا يُزاد في اللفظ إلاّ بِبُرهان، لسِيَّما أن تزيد على معنى على كتاب الله –جلّ وعلا–، فالله–جلّ وعلا–يقول: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾، فإنّما صرف خِداعهم لله، وعطف على خداعِ الله بالمؤمنين؛ والذين آمنوا، فدخل النبيّ–صلى الله عليه وسلم– في ضِمْنِ المؤمنين، فيُخادعون النبيّ ومعه المؤمنون، فالعطفُ بالمؤمنين بعد لفظِ الجلالة؛ دليلٌ على أنّ المراد﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ فعلوا ذلكَ خِداعًا لله–جلّ وعلا–، فلا يجوز أن يُصرفَ الكلام؛ وإلاّ ففي مواضِع أُخْرى ذكر الله نبيّه، حينما ذكر الأذى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[الأحزاب:57].

فهناكَ ذكر الأذى؛ أنّهم يؤذون الله ورسوله، فذكرَ رسوله.

إذًا الحاصلُ باختصار: أنّه لا يجوز أن يُصرف الكلامُ عن ظاهِرِهِ بغير دليل، فإنّما هم مُخادعون لله–سبحانه وتعالى– ولِرسوله؛ في دخوله في المؤمنين، حينما عطف في ذِكر المؤمنين على ذكرِهِ –سبحانه وتعالى–.

السؤال الثالث:

ما فائدة الاسْترسال في ذكر صفات المنافقين في تسع آيات؛ بينما ذكرُ الكافرين في آيتين؟

الجواب:

–جيد، يقول الشيخ: أنّه اسْترسَل–سبحانه وتعالى– في وصف المنافقين في تسع آيات؛ بينما وصف الكافرين في آيتين، وهذا من عظيم بيانِ الله–جلّ وعلا–، فإنّ الكافر ظاهر، والمنافق غيرُ ظاهر، لذلك الله–جلّ وعلا– لما ذكر عِقاب المنافقين؛ قال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[النساء:145]

فالمنافقُ أشدُّ ضررًا من الكافر، الكافر يُحذرْ إذْ هو ظاهر؛ بينما المنافق إنّما يُفسدُ من الداخل:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران:118].

إذا فالمنافق يُظهر الإسلام فيطمئن الناسُ إليهِ فَيُفسِد دينهم من تظاهره به، بينما الكافر فمحذور منهم إبتداءا يعلمون هذا كافر ، يهودي، نصراني مُلحد، ولكن أن يظهرَ الإسلام ويُطِن الكُفر هذا ضررهُ أشد، فجاءَ التنبيه على خِصالِهم مُبينًا للنبي – صلى الله عليه وسلم– وأصحابهِ ماذا يقولون؟ ماذا يفعلون؟ ليحذَرَ منهم، ولذلك قال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد 30].

كذلك جُرَّ إلى ذلك المبتدع، المبتدعْ أشدُّ ضررًا من العاصي، لأنَّ العاصي يشربُ الخمر! يزني! فمعلوم أنهُ يفعلُ القبيح ويحذرهُ الناس، ولكنَّ المبتدع حينَ يُظهِرُ تعظيمَ الشَّرع، وحينَ يُظهرُ حُبَّ السُنة ويُلبَسُ على الناس دينَهُم، وإن لم يكن مُنافِقا فهو أشدُّ ضررا.

ولذلك جاءَ في المبتَدِع ما م يأتي في العاصي، ولذلك النبي– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ اللَّهَ احْتَجَرَ التَّوْبَةَ عَلى كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ» لأن المبتدع في ضررهِ أشبه بضرر المنافق وإن لم

يكن المبتدع منافقا، ولذلك كان النبي– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يخطب يقول كما في صحيح مُسلِم ((وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا)) هذا الذي يظهر واللهُ أعلم.

السؤال الرابع:

قوله تعالى: ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ ﴾ [البقرة9] هذه قراءة حفص والجمهور، والقِراءةُ الأُخرى لنافع وابنِ كثير وغيره{ وَمَا يُخَدِعُونَ} وفي قولهِ تعالى– {يَكْذِبون} في القراءة الأُخرى{يُكَذِبون} هل هذا من ضمنِ حديث النبي– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ((إِنّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ))؟

الجواب:

((حديثُ البُخاري أنَّ النبي– عليهِ الصلاة والسلام– لما جاءَ عُمر وقد سمع بعض الصحابة يقرأُ بقراءةٍ أُخرى على غيرِ القراءة التي سمعها من النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فعجل عليه عُمر، وأخذهُ ولببهُ بثيابهِ وأتى النبي– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: يارسول الله إنَّ هذا سمعتهُ يقرأُ على غير ما أقرأتني. فقال أطلقهُ ياعُمر فأطلقه، فقال لهُ: إقرأ! فقرأ، ثم قال النبي– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لعُمر إقرأ، فقرأ فقال كلاكما مُحسِن،إِنّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسّرَ مِنْهُ))

وهذه الأحرُف كالمِثالين الذين تفضلَ بهما الشيخ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ فجاءَت قِراءتان ﴿يُخَدِعُونَ﴾﴿يُخَدِعون﴾ وجاءَ في القراءة الأُخرى–﴿بما كانوا يَكْذِبون﴾ ﴿بما كانواُ يُكَذِبون﴾ هذا بابُ القراءات.

وزيادة في الفائدة أنَّ كُلَ قِراءة لها معنىً أدقّ فيما يتعلقُ بلفظها.

فتأمل الآن مثلًا﴿وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾،﴿ بِمَا كَانُوا يُكَذِبُونَ﴾ فكلاهما قراءتانِ صحيحتان والمعنى ﴿يَكْذِبُونَ﴾أثبتَ الكَذِبَ لهم،﴿يُكَذِبُونَ﴾صيغةُ مُبالَغة أي أنهُم كثيروا الكذب كما تقول (فُلانٌ كاذب)أو تقول (فُلانٌ كذَّاب) كاذِب حصل منهُ فعلُ الكذب، كذَّاب أي كثيرُ الكذب مستمرةُ فهذا هو الذي ذكرهُ النبي– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَاقْرَأُوا مَا تَيَسّرَ مِنْهُ" ك(يَكذبون)، (يُكذبون)،(مَنْ أَنصَارِي) (مَن أنصاري) (وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ) إلى غير ذلك من القراءات، وكلها ولله الحمد متفق لا مختلف.

السؤال الخامِس:

شيخنا الفاضل ما المراد بالمرض المذكور بالآية؟

الجواب:

قوله تبارك وتعالى–: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة:10]،القلب إذا صحّ التوحيد فيه كان قلبًا سليمًا، ومنه قوله تعالى– حاكيا عن نبيه إبراهيم، أو هو من كلام ربنا من خطابه:﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ *إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: 88-89].

فسلامة القلب، وعمارة القلب بالإيمان، و والتقوى، ولذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: ((التقوى ها هنا))، وضربَ على صدرهِ –صلى الله عليه وسلم–، فإذا دخل القلب ريبٌ، وشكٌ، ونفاقٌ، وكفرٌ، وفسق؛ أُصيب بالمرض، إلى أن يصلَ عياذا بالله كما قال

صلى الله عليه وسلم- في حديث مسلم: ((تعرض الفتن على القلوب عودا عودا، كأعواد الحصير، فأيما قلبًا أنكرها، نُكت في قلبه نكتةُ بيضاء، وأيّما قلبٌ أشربها؛ نُكت في قلبه نكتةٌ سوداء، حتى تصير القلوب قلبين على أبيض كالصّفاء، لا تضرّه فتنة ما دامت السموات والأرض، وعلى أسود مربادّا يسود القلب، ويُظلم، حتى لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا))، وهذا حين يستحكم المرض بالقلب، هذا معنى سلامة القلب، ومعنى مرضه.

تتمة الشرح

قال الله -جلّ وعلا-:﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [البقرة:18] ،

انتبه إذا جاء المثل في القرآن، فارعه سمعك، وقلبك، فإنّ البشرى لمن عقل عن الله أمثاله، قال الله -جلّ وعلا- ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت:43]، فمن عقل أمثلة الله -جلّ وعلا- فله البشرى، فإن الله يقول: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾.

هذا المثل من أعظم التمثيل، وأبلغه ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾.

تخرج إلى البر، وليس لك وسيلة للإضاءة، فتظلم عليك الدنيا في برك، فتحتاج إلى النور، فتستوقد نارا، فتأتي إلى حطب، أو ما أشبه ذلك فتستوقدُ بحطبٍ قليل، لا يكفي لاستمرار الإضاءة، فيوقد لك هذا الحطب القليل شيئًا من الإضاءة الوقتية، تستمر معك نصف

ساعة، ساعة، ثمّ فجأة تنقطع هذه الإضاءة والإنارة، لأنّها ضعيفة أصلا؛ فحينئذ لا تستمر أن تضيء لك الليل كلّه، وإنّما أضاءت لك إضاءة عارضة لأنها غير مستقرّة، وغير ثابتة في الإضاءة، وإنّما شيءٌ عارض، هؤلاء المنافقون ادّعوا الإيمان، فاستفادوا من نور الإيمان، بأن حُقنت دماءهم،﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾، إلى أن قال:﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ [المنافقون: 1-2]، فهذه الاستفادة، أنّهم لم تُستبح دماءهم حين أظهروا الإسلام كذبا، فانتفعوا من كِذبهم؛ بأن حُفظت دماءهم، ولم يُعرض لهم بالقتل.

قال:﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾، فلّما أضاءت ما حوله، لم يستمر نورها، بل انقطع وتلاشى وذهب، لأنّه ليس بنور ثابت، وإنّما استضاءة بحطب وما أشبه عارض، فذهب نوره، فعاد إلى ما كان ولم ينتفع باستدامة النور.

قال: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾[البقرة: 17]، ورجعوا إلى الظلمة، فهؤلاء المنافقون إذا وافوا الله –جل وعلا– يوم القيامة لن ينفعهم ما أظهروا من الإسلام، وما استفادوا منه حتى عُصِمَتْ دمائهم ولم يُقتلوا بسبب إظهار الإسلام، ولكن لم ينفعهم هذا يوم القيامة، بل سيذهب هذا سُدى كأن لم يكن

قال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: 17].

فالمنافق هذا حاله، يحسب أنه على خير، وإذا به يوافي ربه فيبقى في الظلمات، ويبقى في التيه والعياذ بالله

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[البقرة: 18]، صُم لا يسمعون الحق، بُكْم لا يقدرون على قوله، عُمِي لا يرونه، فَصُمَّتْ عليهم كل أسباب الهِداية فهم لا يرجعون، هذا المثال الأول.

مثَّل آخر لحال المنافقين: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾[البقرة: 19]، مطر نزل من السماء فيه ظلماتٌ، ورعْد، وبرق، مطرٌ مصحوبٌ بشدة ظلمة، وسحب بعضها فوق بعض، فترتب على ذلكَ ظلمات ورعد، يؤذي أُذُنَ الإنسان، وبرق يعجز أن ينظر إليه.

كذلك المنافق لا يقدر أن يُبصر الحق، كمن الذي يحصل عنده المطر والبرق لا يقدر أن ينظر إلى البرق، كذلك لا يسمع الحق كالذي يسمع صوت الرعد فيرهب، ولا يستفيد شيئًا إلى الفزع، فتأتي الآيات، ويأتي الترهيب من الله، ويأتي التخويف فيقع في آذان المنافقين كوقوع الرعد في آذان من يسمعه، يخاف أن يُصاب بسوء، وهؤلاء يخافون أن يُفْضَحُوا حين ينزل القرآن بذكر أوصافهم، وأقوالهم، وأحوالهم، فيكون نازلًا عليهم كنزول الرعد على الذي يسمعه.

قال –سبحانه وتعالى–: ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾[البقرة: 19]، فهؤلاء الذين في الصحراء إذا اشتد الرعد يجعل أصابعه في آذانه من الصواعق، من قوتها، ومن رعدها، ومن خوفه أن يصيبَه شي بالصوت أو غيره فيجعل أصابعه في أذنيه من شدة قوة الصواعق، خشية الهلاك حضر الموت.

كذلك هؤلاء المنافقون يخشون الهلاك على أنفسهم بنزول آيات الله –عز وجل– مبيّنة حالهم، وفاضحَة أخبارهم.

قال الله –جل وعلا–: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:19-20]

نقف عند هذه الآية، ونبتدأ غدًا إن شاء الله من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة:21].

وفقنا الله وإياكُم.